

البدايات : مع الشعراء الصعاليك

فى

العصر الجاهلى

قدّم يوسف خليف للأدب العربى كماً من الدراسات التى أثرت حياتنا الفكرية ، وأخذت على عاتقها التأسيس لمنهج البحث فى الأدب قصداً إلى ضرب من الانفتاح على الموروث ، وإعادة طرحه على الساحة الأدبية من خلال رؤية جديدة ، وموقف فكرى متميز ، يجعل مفتاح شخصية الباحث الدأب والكد الذهنى ، فى محاولات جادة لقتل القديم بحثاً على منهج جيل الأساتذة القدماء ممن ساروا فى تلك السبل الوعرة ، وتسلموا بأدواتهم المتنوعة فى محاولة اختراقها واجتيازها .

ويبدو لنا الدكتور خليف واحداً من هؤلاء الذين استوعبوا الدرس جيداً ، فأخذوا بمقوماته ، وساروا عليه ، وأصلوا له ، ورسّخوا مفاهيمه فى أذهان طلابهم ، فكوّنوا فى حياتهم . ومن بعدهم - مدرسة أدبية منضبطة ، يقوم منهجها على ضرب من التواصل ، وتنهض رؤاها على غط من الوضوح والجدة ، ومعلم من الانفتاح والتمايز ، لعلها تتكشف فيما نعرض له تفصيلاً عبر هذا المدخل حول خصوصيات أولى دراسات يوسف خليف ، والكلام عن الخصوصيات هنا يحدد لنا ملامح هذا البحث من ناحية ، ويكشف لنا مناطق التمايز من ناحية ثانية ، ثم يرصد أمامنا طبائع القضايا والمشكلات التى تستحق أن نتوقف عندها فى أناة وروية وتمعن وإعادة نظرمنهجى من ناحية ثالثة . (١)

ودعنا نبدأ الحوار مع أولى خطى يوسف خليف مع الدرس الأكاديمى منذ تشبث فى دراسته للماجستير بشعر الصعاليك ، وكأنه كان يبنى عن إصراره - كباحث مبتدئ وقتئذ - عن إصراره على البحث فى المناطق المجهولة منذ أقدم